علو الهمة في الاحتساب والنِيَّة

□ «النِيَّة هي رأس الأمر وعموده، وأساسه وأصله الذي يُبْنَى عليه، فإنها روح العمل، وقائده وسائقه، والعمل تابع لها يُبْنَى عليها، يصحُّ بصحَّتها، ويفسد بفسادها، وبها يُسْتَجلَب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة»(١).

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(٢).

قدِّموا النية، وانووا الخير:

□ قال سفيان الثوري: «ما ضعف بدن قط عن مبلغ نيّته، فقدِّموا النيَّة ثم اتبعوها»(٣).

✍ **أخي:** من خلصت نيّته كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزيّن للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله.

---

(١) «إعلام الموقِّعين» لابن قيم الجوزيّة (٤/ ١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٩ و١٣٥)، (٥/ ١٦٠)، (٧/ ٢٢٦)، (٩/ ١١٥)، (١١/ ٥٧٢)، (١٢/ ٣٢٧)، ومسلم (١٩٠٧)، وأبو داود (٢/ ٣٥٢)، والترمذي (١/ ١٩٨)، والنسائي (١/ ٨٥)، (٧/ ١٣)، (٦/ ١٥٨)، وابن ماجه (٢/ ١٤١/ ٤٢٢٧)، وأحمد (١/ ٢٥، ٤٣)، والحطاوي في «شرح معاني الآثار»، وابن خزيمة، والدارقطني في «سننه».

(٣) «حلية الأولياء» (٧/ ٥٤).

□ قال إبراهيم النخعي: «إن الرجل ليتكلم بالكلام، على كلامه المقت، ينوي فيه الخير، فيُلقي الله عَزَّوَجَلَّ له العذر في قلوب الناس، حتى يقولوا: ما أراد بكلامه هذا إلَّا الخير، وإن الرجل يتكلم بالكلام الحسن لا يريد به الخير فيُلقي الله عَزَّوَجَلَّ له في قلوب الناس حتى يقولوا: ما أراد بكلامه هذا الخير»[١].

□ قال الإمام أحمد لابنه: «يا بُنيّ انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير»[٢].

• عن ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من ادَّان دَيْنًا ينوي قضاءَه أدّاه الله عنه يوم القيامة»**[٣].

* النية سبب عظيم للتوفيق قال: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ [النساء: ٣٥].

□ قال الإمام النووي: «النيّة معيار لتصحيح الأعمَال فحيث صلحت النيّة صلح العمل وحيث فسدت فسد العمل».

□ وقال ابن رجب: «صلاح العمل وفساده، بحسب النيّة المقتضية لإيجاده».

□ وقال داود الطائي: «رأيت الخير كله إنمَا يجمعه حُسن النيّة وكفاك بها خيرًا».

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٧٤).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وكذا رواه أحمد في «مسنده» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٨٦).

□ وقال ابن المبارك: «رب عمل صغير تعظّمه النيِّة، ورب عمل كبير تصغّره النية».

□ وقال الإمام أحمد بن حنبل: «أحب لكل من عمل عملًا من صلاة أو صيام أو صدقة أو نوع من أنواع البر أن تكون النيِّة متقدمة في ذلك قبل الفعل».

□ وقال الفضيل بن عياض: «إنمَا يريد الله عَزَّ وَجَلَّ منك نيتك وإرادتك».

□ وقال الشيخ علي سلطان القاري: «اعلم أن عدم وصول المريد إلى النهاية، لعدم تصحيح النيِّة في البداية، فعدم الوصول لفقد الأصول». فصحِّح النيِّة بالهمة العلية.

□ قيل لحبيب بن أبي ثابت التابعي مفتي أهل الكوفة والمعوّل عليه عندهم: حدّثنا عن أشق شيء؟ قال: مجيء النيِّة.

□ وقال يوسف بن أسباط: «تخليص النيِّة من فسادها أشدّ على العاملين من طول الاجتهاد».

□ ولله در القائل: «بحسن النية تقهرون الهوى، وبترك الشهوات تصفو أعمَالكم».

تفقّد نيتك وراعِهَا:

□ قال نعيم بن حمّاد: «ضرب السياط أهون علينا من النيِّة الصالحة».

□ وقال المناوي: «قال الغزالي: الشأن في صحّة النيِّة فهي معدم غرور الجُهّال ومَزَلّة أقدام الرجال»[1].

(١) «فيض القدير» للمناوي (٦/ ٤٤).

فَضْلُ النِيِّةِ:

١- يبعث الناس على نياتهم:

• عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»(١).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يُبعث الناس على نيّاتهم**»(٢).

• وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يُحشَر الناس على نيّاتهم**»(٣).

✍ يحشر الناس ويبعثون على نيّاتهم فاحذر أن يفضحك ميراثك: نيتك يوم القدوم على ربك واعلم أن خلوص النيّة لرب البرية هو خلاصة العطية.

٢- من كانت الآخرة همَّهُ:

* قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [آل عمران].

---

(١) أخرجه مسلم، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، والطحاوي .

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٠١٤).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه عن جابر، وكذا رواه الحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٠٤٢).

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٤]. قال قتادة: «على نيته»(١).

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همَّه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومَن كانت الدنيا هَمَّهُ جعل الله فقره بيْن عينيْه، وفَرَّق عليه شملَه، ولم يأته من الدنيا إلَّا ما قُدِّر له»(٢).

• وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت الدنيا همّه فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه؛ ولم يأته من الدنيا إلّا ما كُتِب له، ومن كانت الآخرة نيّته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه؛ وأتته الدنيا وهي راغمة»(٣).

• وقال رسول الله ﷺ: «إنه من تكن الدنيا نيّته يجعل الله فقره بين عينيه، ويُشتِّت عليه ضيعته، ولا يأتيه منها إلّا ما كُتب له، ومن تكن الآخرة نيته يجعل الله غناه في قلبه، ويكفيه ضيْعته، وتأتيه الدنيا وهي راغمة»(٤).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٨)- المكتبة القيمة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن أنس، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٤٩- ٩٥٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٥١٠).

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢/ ٥٢٤- ٢٥٢)، وابن حبان (٧٢)، وقال المنذري رواته ثقات، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وقال الألباني: إسناده صحيح انظر: «السلسلة الصحيحة» (٩٥٠).

(٤) صحيح لغيره: رواه الطبراني في «الأوسط» (٨/ ١٣٣/ ٧٢٦٧) عن زيد بن ثابت. وقال المنذري: إسناده لا بأس به، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٣/ ٢٣١/ ٣١٦٨): «صحيح لغيره».

٣- الخلود في الجنة أو النار بالنيّات:

□ قال الحسن: «إنمَا خلّد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيّات»(١).

✍ قد يقول قائل: «لِمَ يعذّب الله الكافر بالخلود في النار مددًا لا نهاية لها مع أن العدل يقتضي أن يعذبه بمقدار المدة التي كفرها؟ ولم يخلد المؤمن في الجنة مع أنه لم يؤمن ولم يطع إلَّا مدة محدودة من الزمان، بل قد يسلم لله قبل الغرغرة ويدخل في الإسلام ويموت ولم يسجد لله سجدة واحدة؟

والسبب في ذلك أن المؤمن ينوي أن يطيع الله أبدًا، فجوزي بالخلود جزاء نيته، والكافر كان عازمًا وناويًا الكفر أبدًا فجوزي بنيته (٢) ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام].

٤- حفظ العبد على قدر نيته:

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنمَا يُحفظ الرجل على قدر نيّته».

□ وكتب سالم بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز: «اعلم أن عون الله للعبد على قدر النيّة، فمن تمّت نيته تم عون الله له، وإن نقصت نقص بقدرها»(٣).

٥- يبلغ المرء بنيّته ما لا يبلغه بعمله:

□ قال جعفر بن حيان: «ملاك هذه الأعمَال النيات، فإن الرجل يبلغ

---

(١) «الإحياء» (٤/ ٣١٧).

(٢) انظر: «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص١١)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ٥٥٦).

(٣) «الإحياء» (٤/ ٣١٧).

بنيته ما لا يبلغه بعمله».

□ قال ثابت البناني: «نية المرء أبلغ من عمله، إن المؤمن ينوي أن يقوم من الليل، ويصوم النهار، ويخرج من ماله، فلا تتابعه نفسه على ذلك، فنيته أبلغ من عمله»(١).

من رحمة الله ونعمه على عباده أن جعل من عزم ونوى فعل الخير كمن فعله، ومن نوى الغزو كمن غزا.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: إذا تحدثَ (٢) عبدي أن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها**».

• وقال رسول الله ﷺ: «**قالت الملائكة: ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة - وهو أبصر به فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جَرَّاي (٣)**»(٤).

* وتخلف رجال من الصحابة في غزوة تبوك لم يكن عندهم زاد ولا راحلة حبسهم العذر، ولم يكن عند النبي ﷺ ما يحملهم عليه، وبكوا بكاء الرجال شوقًا إلى الغزو فعلم الله نيّاتهم، فشاركوا الغزاة في الأجر،

---

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢٦).

(٢) أي: «همّ» كما في الرواية الأخرى، وفي رواية ثالثة: «أراد».

(٣) أي: من أجلي.

(٤) رواه مسلم في «الإيمان» باب إذا هم العبد بحسنة (١/ ١١٧، ١١٨)، حديث (١٢٩).

قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة].

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في غزاة، فقال: «**إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلَّا كانوا معكم**»[(١)]. قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «**وهم بالمدينة، حبسهم العذر**»[(٢)].

• وقال ﷺ: «**إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم واديًا، إلَّا كانوا معكم فيه وهم بالمدينة، حبسهم العذر**»[(٣)].

• وقال ﷺ: «**إن أقوامًا بالمدينة خلفنا؛ ما سلكنا شِعبًا، ولا واديًا إلَّا وهم معنا، حبسهم العذر**»[(٤)].

فالكريم المنّان المطّلع على خبايا النفوس يرفع الراغب في الجهاد إلى مراتب المجاهدين؛ لأن بُعد هممهم، وشرف نيّاتهم أرجح لديه من عجز

---

(١) في رواية الإسماعيلي كما قال الحافظ في «فتح الباري» (٦/ ٤٧): «إلا وهم معكم فيه بالنية»، وفي حديث جابر عند مسلم (١٩١١): «إلا شركوكم في الأجر» أي أن لهم من الأجر مثل أجر الغازي.

(٢) «صحيح البخاري» كتاب الجهاد- باب من حبسه العذر «فتح الباري» (٦/ ٤٦، ٤٧) (ح٢٨٣٩)، وكتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر (٨/ ١٢٦) (ح٤٤٢٣).

(٣) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، وابن ماجه عن أنس، ومسلم، وابن ماجه عن جابر.

(٤) رواه البخاري عن أنس.

وسائلهم، ولا يهدر الله يقينهم الراسخ ورغبتهم العميقة في التضحية.

• وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»**(١).

• وقال ﷺ: **«من سأل الله القتل في سبيل الله، صادقًا من قلبه، أعطاه الله أجر شهيد، وإن مات على فراشه»**(٢).

✍ والله لو لم يكن من فضيلة للنيات إلّا هذا الحديث لكفى.

• وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مرض العبد أو سافر؛ كُتِب له مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»**(٣).

• وعن أبي الدرداء رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: **«من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، فغلبته عيناه حتى أصبح**(٤)**، كُتِب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه عز وجل»**(٥).

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٩٠٩)، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي وابن حبان والحاكم عن معاذ، والحاكم في «المستدرك» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٧٧).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» - كتاب الجهاد- باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة «فتح» (٦/ ١٣٦) رقم (٢٩٩٦)، وكذا رواه أبو داود.

(٤) أي: نام وهو عازم على قيام الليل، فلم يقم تلك الليلة من غير تفريط منه، ولكن غلبه النوم فلم يقم -انظر «النية» للدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين.

(٥) صحيح: رواه النسائي (١٧٨٧)، وابن ماجه (١٣٤٤)، ورواه النسائي موقوفًا بعد ذلك وله حكم الرفع، ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٥٨٨) «الإحسان». وقال المنذري: إسناده جيد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (ص١٢)، =

□ قال داود الطائي: «البر همته التقوى، فلو تعلّقت جميع جوارحه بالدنيا لردّته نيته يومًا إلى نيّة صالحة، وكذلك الجاهل بعكس ذلك».

□ قال بعض العلماء: «اطلب النيّة للعمل قبل العمل، وما دمت تنوي الخير فأنت بخير. وكان بعض المريدين يطوف على العلمَاء يقول: من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملًا لله تعالى فإني لا أحب أن يأتي عليَّ ساعة من ليل أو نهار إلَّا وأنا عامل من عمَّال الله؟ فقيل له: قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا فترت أو تركته فهمّ بعمله فإن الهام بعمل الخير كعامله»[١].

٦- النية سرّ العبودية وروحها، والعمل بغير نية لا ينفع:

□ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أفضل الأعمَال أداء ما افترض الله تعالى، والورع عمَّا حرّم الله تعالى، وصدق النيّة فيما عند الله»[٢].

□ وقال بلال بن سعد: «إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله، فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر في ورعه، فإن تورّع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى، فإن صلح، نيّته فبالحري أن يصلح ما دون ذلك. فإنَّ عماد الأعمال النيّات، فالعمل مفتقر إلى النية ليصير بها خيرًا، والنيّة في نفسها خير وإن تعذّر العمل بعائق»[٣].

□ وقال الغزالي في «الإحياء» (٤/ ٣٢٠): «لم يكن العمل بغير نية

والشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على الإحسان قال: «إسناده جيد».

(١) «الإحياء» (٤/ ٣١٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

مفيدًا أصلًا؛ لأن من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظانّ أنه يمسح ثوبًا لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة، فكان وجود ذلك كعدمه، وما ساوى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلًا، فيقال: العبادة بغير نيّة باطلة.

* قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ ﴾ [الحج: ٣٧].

□ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لا ينفع قول إلَّا بالعمل، ولا ينفع قول وعمل إلَّا بنية، ولا ينفع قول وعمل ونيِّة إلَّا بمَا يوافق السنة»[١].

□ وقال مطرّف بن عبد الله: «صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصحة النيِّة»[٢].

□ وقال سفيان الثوري: «لا يستقيم قول إلَّا بالعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلَّا بنيّة، ولا يستقيم قول وعمل ونيّة إلَّا بموافقة السنة»[٣].

□ وقال يحيى بن معاذ الرازي: «صلاح الأمر أن يكون على نيّة»[٤].

□ وقال ابن حزم: «النيّة هي سرّ العبودية وروحها، ومحلها من العمل محل الروح من الجسد، ومحال أن يُعتبر في العبودية عمل لا روح معه، بل هو بمنزلة الجسد الخراب»[٥].

---

(١) «العُدّة» (١/ ٨).

(٢) «حلية الأولياء».

(٣) «الحلية».

(٤) «تهذيب الحلية» (٢٦٦).

(٥) «إحكام الأحكام» لابن حزم (٢/ ٧٠٦- ٧٠٧).

٧- نيّة الخير باقية أبدًا لا تتوقف أبدًا إن توقف العمل:

• «قد تتوقف بعض الأعمال البدنية المطلوبة شرعًا كالهجرة، وذلك عندما ينتشر الإسلام وتصبح كلمة الله هي العليا، وكصلة الأرحام إذا لم يكن للمرء رحم يصله، ولكن نيّة العمل الخيِّر باقية دائمة لا تتوقف أبدًا، يقول الرسول ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية**»[1]، [2].

٨- قاصد الخير يثاب بنيّته وإن لم يصب المراد:

إذا قصد العبد القيام بفعل خير شرعه الله، إلَّا أن هذا الفعل لم يقع الموقع المناسب فإن صاحبه يثاب بقصده ونيّته.

• يوضح هذا الحديث المبارك الذي قاله النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال رجل لأتصدَّقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق الليلة على سارق، فقال: اللهم لك الحمد على سارق! لأتصدقنَّ الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية! فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدَّقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق الليلة على غني، فقال: اللهم لك الحمد على سارق، وعلى زانية، وعلى غني! فأُتِي، فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما**

---

(١) «مقاصد المكلفين» (ص٨٨).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» - كتاب جزاء الصيد- باب لا يحل القتال بمكة (٤/ ٤٦) «فتح»، ومسلم في «صحيحه»- كتاب الإمارة (١٣/ ٨)، وأبو داود في «سننه»- كتاب الجهاد- باب الهجرة هل انقطعت؟ (٣/ ٧).

الزانية فلعلها أن تستعفف عن زناها، وأما الغني فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله»(١).

٩- النيّات تُمَيِّز الأعمال:

قد تتفق الأعمال في صورها، ويتميّز بعضها عن بعض بالنيّات.

- فالنطق بالشهادتين مخلصًا هذا بأفضل المنازل، فإذا نطق بهمَا نفاقًا يريد إحراز ماله ودمه كان بشرّ المنازل.

والساجد لله فعله من أعظم القربات، والساجد لغير الله فعله من أعظم الذنوب، وذبح البهائم صورته واحدة، فالذي يذبحه لغير الله فقد أذنب وعصى، والذي يذبحه لله فقد برّ وأطاع(٢).

والنيّات تميّز العبادات عن العادات:

- فالنيات تميّز بين ما يفعل لرب السماوات من عبادة وبين العادات.
- فمن الغسل ما يكون من الأحداث، ومنه ما يكون للتَّبرد، والاستحمام والمداواة.
- ودفع المال منه ما يكون هبة، أو هدية، ومنه ما يكون قربة إلى الله، كالزكاة، والصدقات، والكفّارات.
- والإمساك عن المفطرات: منه ما يكون حمية وعلاجًا، ومنه ما يكون قربة إلى الله وهو الصيام والنية هي التي تميّز بينهما.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٢٢، ٣٥٠)، والبخاري، ومسلم (٧/ ١١٠)، وابن ماجه.

(٢) انظر: «مقاصد المكلفين» (ص١٠١).

- والذبائح منها ما يكون لتغذيه الأبدان وضيافة الضيفان، ومنها ما يكونِ تقرّبًا للملك الديان كالهدْي والأضاحي والنيّة تميّز بينهما.

والنيّات تميّز رتب العبادات:

فالنيَّة هي التي تميّز راتبة الفجر عن فرض الفجر إذا صلاهمَا المصلي منفردًا، وبها يتميَّز القضاء عن الأداء، وفي النفل تميّز الراتب عن غيره، وكذلك في الفرض تميّز مثلًا الظهر عن العصر، والمنذورة عن المفروضة بأصل الشرع.

- وفي العبادات المالية: تميِّز الصدقة الواجبة عن النافلة، والزكاة عن المنذورة والنافلة.
- وفي الصوم تميِّز صوم النذر عن صوم النفل، وصوم الكفّارة عنهما، وصوم رمضان عمَّا سواه.
- وفي الحج تميِّز الحج عن العمرة، والحج المفروض عن المنذور والنافلة.
- وكما قلنا فإن النيّة تؤثر في الفعل، فيصير تارة حرامًا، وتارة حلالًا، وصورته واحدة تفرّق بينهما النية فقط.

فالقرض في الذمة، وبيع النقد بمثله إلى أجله، صورتهما واحدة، والأول قربة صحيحة، والثاني معصية باطلة.

◻ قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «الروح»: «الشيء الواحد تكون صورته واحدة، وهو ينقسم إلى محمود ومذموم، فمن ذلك التوكل والعجز، والرجاء والتمني، والحب لله، والحب مع الله، والنصح والتأديب، وحب الدعوة إلى الله وحب الرياسة، وعلو أمر الله والعلو في

الأرض، والعفو والذل، والتواضع والمهانة، والمودة والحقد، والاحتراز وسوء الظن، والهدية والرشوة، والإخبار بالحال والشكوى، والتحدّث بالنعم شاكرًا والفخر بها. فإن الأول من كل ما ذُكِر محمود، وقرينه مذموم، والصورة واحدة، ولا فارق بينهما إلّا القصد»[١].

١٠- النيّات تُحول العادات إلى عبادات:

إن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لله رب العالمين، ويرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعلانه عبادة متقبله.

وإن خبث الطويّة، يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصي شائنة فلا ينال المرء منها بعد التعب في أدائها إلّا الفشل والخسار.

والحق أن المرء ما دام قد أسلمّ لله وجهه وأخلص نيِّته، فإن حركاته وسكناته ونومه ويقظاته، تُحتسب خطوات إلى مرضاة الله.

□ قال الغزالي رحمه الله: «ما من شيء من المباحات إلّا ويحتمل نيّة أو نيّات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات، فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة، ولا ينبغي أن يستحقر العبد شيئًا من الخطرات والخطوات واللحظات»[٢].

فالغافل من يغفل عن تحويل المباحات إلى طاعات، فمن أتى شيئًا من مباح الدنيا لم يُعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة بقدره، وناهيك خسرانًا بأن يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى.

(١) انظر: «مقاصد المكلفين» (ص٦٩، ٧٠، ٧١).
(٢) «الإحياء» (٤/ ٣٢٣).

فالعاقل من يجمع بين إتيان المباحات ولا يُنقص من الأجر والحسنات بتحسين النيّات، ولهذا قال بعض العارفين من السلف: «إني أستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء» وكل ذلك مما يكون أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى؛ لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين، كمن قصد من الأكل التقوّي على العبادة.

• بل ويقضي شهواته ومع النيّة الصالحة تحوّل إلى طاعة وقربات فمن نوى بالوقاع تحصين دينه، وتطيب قلب أهله، والتوصل به إلى نسل صالح يعبد الله تعالى بعده فتكثر به أمة محمد ﷺ كان مطيعًا بأكله ونكاحه. قال ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**».

وأغلب حظوظ النفس من الأكل والوقاع قصد الخير بها غير ممتنع لمن غلب على قلبه همّ الآخرة.

• عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني النبي ﷺ عام حجة الوداع من مرض أشفيت[1] منه على الموت، فقلت: يا رسول الله! بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلّا ابنة واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «**لا**»، قال: أفأتصدق بشطره؟ قال: «**الثلث يا سعد، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفّفون[2] الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلّا آجرك الله بها،**

(١) أي: أشرفت منه على الموت. انظر: «النهاية» (٢/ ٤٨٩).

(٢) العالة: الفقراء، جمع عائل، و«يتكففون الناس»: أي يمدون أكفهم إليهم ليسألوهم «النهاية» (٣/ ٣٣١)، و(٤/ ١٩٠).

حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك»، قلت: يا رسول الله! أخلّف بعد أصحابي[١]؟ قال: «**إنك لن تخلف فتعمل عملًا تبتغي به وجه الله إلّا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضرّ بك آخرون..**»[٢].

• وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها، كانت له صدقة**»[٣].

•وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهمَا على مخْلاف[٤]، قال: واليمن مخلافان، ثم قال: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشرا ولا تنفِّرا**»، فانطلق كل واحد منهمَا إلى عمله، وكان كل واحد منهمَا إذا سار في أرضه كان قريبًا من صاحبه أحدث به عهدًا فسلّم عليه، فسار معاذ في أرضه قريبًا من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جُمعت يداه

---

(١)قال النووي: «قال القاضي عياض: معناه أخلف بمكة بعد أصحابي، فقاله إما إشفاقًا من موته بمكة لكونه هاجر منها وتركها لله تعالى فخشي أن يقدح ذلك في هجرته أو ثوابه عليها، أو خشي بقاءه بمكة بعد انصراف النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وتخلفه عنهم بسبب المرض، وكانوا يكرهون الرجوع فيما تركوه لله تعالى، ولهذا جاء في رواية أخرى «أخلف عن هجرتي» انظر «شرح النووي على صحيح مسلم» (١١/ ٧٨).

(٢)رواه البخاري حديث رقم (٥٦، ١٢٩٥، ٢٧٤٢، ٢٩٣٦)، ومسلم (١٦٢٨).

(٣)رواه البخاري (٥٥)، ومسلم (١٠٠٢).

(٤)المخلاف: الإقليم.

إلى عنقه [(١)] ، فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس [(٢)] أيَّمَ هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يُقتل، قال: إنمَا جيء به لذلك، فانزِل، قال: ما أنزل حتى يُقتل، فأُمِر به فقُتِل، ثم نزل فقال: يا عبد الله! كيف تقرأ القرآن؟ قال: تفَوّقه تفوقًا [(٣)] قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسِب نومتي، كما أحتسب قومتي» [(٤)].

ومعنى قوله: «فأحتسب نومتي: أي أنه يرجو الأجر في إراحة جسده بالنوم ليكون أنشط له في العبادة بعد قيامه من نومه، يرجو الأجر على ذلك مثلما يرجو الأجر على قيامه وتعبه في عبادة الله، وذلك لأن العمل المباح إذا فعله العبد ونوى بفعله إياه أن يستعين به على طاعة الله كان هذا المباح عبادة يثاب عليها العبد؛ لأنه ابتغى بذلك وجه الله تعالى [(٥)].

١١- شرف النيات بباعثها وهو القلب:

يحق للنيّات أن تشرف بموجدها وباعثها وهو القلب؛ فالقلب سيد الأعضاء ومليكها، وهو الآمر الناهي، والأعضاء تطيعه، لا تعصي له أمرًا

---

(١) أي: شُدَّت يداه ورُبطت مع رقبته.

(٢) هذا اسم أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٦٢): «أي ألازم قراءته ليلاً ونهاراً وشيئًا بعد شيء وحينًا بعد حين، مأخوذ من فواق الناقة، وهو أن تحلب ثم تترك ساعة حتىٰ تدر، ثم تحلب، هكذا دائمًا».

(٤) رواه البخاري في كتاب «المغازي»- باب بعث معاذ وأبي موسىٰ إلىٰ اليمن قبل حجة الوداع «فتح الباري» (٨/ ٦٠، ٦٢، ٦٣) حديث رقم (٤٣٤١- ٤٣٤٥).

(٥) «فتح الباري» (٨/ ٦٢)، و(١٢/ ٢٧٥).

ولا تخرج عن حكمه، فهو منها بمنزلة الراعي من الرعية.

فإذا كان هذا شأن القلب فالنيّة وهي عمل قلبي لها فضل على الأعمال الظاهرة، وفضلها عليها كفضل القلب على الأعضاء الظاهرة.

□ يقول علي القاري في هذا: «قال سهل: ما خلق الله تعالى مكانًا أعزّ وأشرف عنده من قلب عبده المؤمن، وما أعطى كرامة للخلق أعزّ عنده من معرفته، فجعل الأعزّ في الأعزّ، فما نشأ في أعزّ الأمكنة يكون أعزّ مما نشأ من غيره..»(١).

١٢- النيّة عمل السر وعمل السر أفضل من عمل العلانية:

النية خفية غير ظاهرة، فلا يستطيع العبد أن يرائي بنيته؛ لأن الناس لا اطلاع لهم على المستتر في القلوب، بخلاف الأعمَال الظاهرة البيّنة فقد يداخلها الرياء، وكثير من الآفات التي تعرض للعمل الظاهر تأتي من هذا الداء الوبيل والآفة الماحقة، فالرياء يبطل الأعمَال ويفسدها، ويخبث النفوس ويدسِّيها: فأما النية إن كانت صالحة فكما يقول ابن الجوزي: «من أصلح سريرته؛ فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فالله الله في السرائر؛ فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر»(٢).

١٣- الجمع بين النيّات في العمل الواحد تجارة العلماء الرابحة:

□ يقول أبو طالب المكي: «النية الصالحة هي أول العمل الصالح وأول العطاء من الله تعالى وهو مكان الجزاء، وإنما يكون للعبد من ثواب الأعمَال على حسب ما يهب الله تعالى له من النيّات، فربما اتفق في العمل

---

(١) «مقاصد المكلّفين» (٩٧، ٩٨).

(٢) «صيد الخاطر» لابن الجوزي (ص٣٥٥).

الواحد نيّات كثيرة على مقدار ما يحتمل العبد من النية، وعلى مقدار علم العامل، فيكون له بكل نية حسنة، ثم يضاعف كل حسنة عشر أمثالها؛ لأنها أعمال تجتمع في عملٍ»[1].

□ وقال الغزالي في «الإحياء»: «الطاعات مرتبطة بالنيّات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها، أما تضاعف الفضل: فبكثرة النيّات الحسنة، فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب، إذ كل واحدة منها حسنة ثم تُضاعف كل حسنة عشر أمثالها.

□ ومثاله القعود في المسجد فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيّات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقرّبين.

أولها: أن يعتقد أنه بيت الله وأنه داخله زائرًا لله، فيقصد به زيارة مولاه عَزَّ وَجَلَّ.

ثانيها: أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَرَابِطُواْ﴾.

ثالثهما: الاعتكاف، وكف السمع والبصر والأعضاء.

ورابعها: عكوف الهمّ على الله ولزوم السرّ للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال في المسجد.

وخامسها: التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكر وللتذكر به، فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من غدا إلى المسجد لا يريد إلّا أن**

---

(١) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٣٠٨- ٣٠٩).

يتعلم خيرًا أو يعلِّمه كان له كأجر حاج تامًا حجة»[(١)].

• وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له في الجنة نزلًا كلما غدا أو راح».

وسادسها: أن يقصد إفادة العلم بأمر بمعروف ونهى عن منكر، إذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده إلى الدين فيكون شريكًا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته.

وسابعها: أن يستفيد أخًا في الله فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة، والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفي الله.

وثامنها: أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة، وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال: أخًا مستفادًا في الله، أو رحمة مستنزلة، أو علمًا مستظرفًا، أو كلمة تدل على هدى، أو تصرفه عن ردى، أو يترك الذنوب خشية أو حياء».

مثال آخر: استعمال الطيب مباح، ويمكن جمع النيّات الحسنة فيه: مثل أن ينوي به اتباع سنة رسول الله ﷺ، وينوي بذلك أيضًا تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائرًا لله إلّا طيب الرائحة، وأن يقصد به تعظيم وتوقير الملائكة، فإن الملائكة للتتأذّى مما يتأذى منه ابن آدم، وأن يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند

---

(١) قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٣٢٣): «إسناده جيد».

مجاورته برائحته، وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي إلى إيذاء مخالطيه، وأن يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه، فمن تعرّض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قال:

إذا ترحّلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلين همُ

◻ وأن يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمّات دينه بالفكر؛ فقد قال الشافعي رحمه الله: «من طاب ريحه زاد عقله».

فهذا طريق تكثير النيّات، وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلّا وتحتمل نيّات كثيرة، وإنمّا تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جدّه في طلب الخير وتشمره له وتفكّره فيه، فبهذا تزكو الأعمَال وتكثر الحسنات.

فهذا وأمثاله من النيّات لا يعجز الفقيه عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبة على قلبه (١) فيا لعظم النيات.. ويا لكرم المولى الودود، ويا لعظم هذا الدين.

الاحتساب:

◻ قال الكفويُّ: «الاحتسابُ: هو طلبُ الأجرِ من الله تعالى بالصَّبْر على البلاءِ مطمئنةً نفسُ المُحتَسِب غير كارهةٍ لِمَا نزل بها من البلاءِ» (٢).

◻ قال ابن الأثير: «الاحتساب في الأعمَالِ الصالحةِ وعندَ

(١) «الإحياء» (٤/ ٣٢٢- ٣٢٣، ٣٢٤).

(٢) «الكُلّيات» للكفوي (ص٥٧).

المكرُوهَاتِ هو البدارُ إلى طلبِ الأجرِ وتحْصِيله بالتَّسْليم والصَّبْرِ، أو باستعمَالِ أنواع البرِّ والقيام بها على الوجْهِ المرسُوم فيها طلبًا للثَّواب المرْجُوِّ منها»[١].

إنَّهُ إذا كان الاحتسابُ بمعناه الذي ذكره الكفويُّ، أو بمعنييه اللذين ذكرهمَا ابنُ الأثيرِ يعني أنْ يعُدَّ الإنسانُ صبْرَهُ في المْكَارِهِ وعملهُ الطاعةَ ضمْنَ ما له عند الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنَّ اكتفَاءَ الإنسان بالله تعالى وثقتَهُ به واتِّكالهُ في نُصْرته على عوْنِهِ كَمَا يُفْهم منْ كلام الطَّبَرِيِّ[٢]، نوعٌ من الاحتسابِ، كَمَا أنَّ رضا العبد بِمَا قُسِمَ له مع الاكتفاءِ به، كَمَا يؤْخَذُ من تفْسِير القرْطُبيِّ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ [التوبة: ٥٩] احتسابٌ أيضًا[٣]. منْ ثَمَّ يكونُ الاحتسابُ ثلاثة أنواعٍ هي:

١- احتسابُ الأجرِ من الله تعالى عند الصَّبْرِ على المكاره، وخاصَّةً فقدُ الأبناءِ إذا كانوا كبارًا.

٢- احتسابُ الأجر من الله تعالى عند عملِ الطاعاتِ يُبْتغى به وجْهُهُ الكريم كَمَا في صوم رمضان إيمَانًا واحْتسابًا، وكذا في سائرِ الطَّاعات.

٣- احتسابُ المولَى عَزَّ وَجَلَّ ناصرًا ومُعِينًا للعبد عند تعرُّضه لأنواعِ الابتلاء من نحو منع عطاءٍ أو خوفٍ وقوع ضررٍ، ومعنى الاحتسابِ في هذا النَّوعِ الثالث الاكتفاءُ بالمولى عَزَّ وَجَلَّ ناصرًا

(١) «النهاية» لابن الأثير (١/ ٣٨٢).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ الآية [التوبة: ١٢٩].
(٣) «تفسير القرطبي» (٨/ ١٦٧).

ومُعِينًا والرِّضا بِمَا قسمَهُ للعبدِ إنْ قليلًا وإنْ كثيرًا.

وسنتكلّم في فصلنا هذا عن النوع الثاني من الاحتساب وهو الاحتساب عند الطاعات.

* قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

* وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ٥٢].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ

نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا

تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإنسان].

* وقال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل].

• عن أُبيٍّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ فرَضَ صيام رمضانَ، وسَنَنْتُ قيامَهُ. فمنْ صامهُ وقامهُ احتسابًا، خرج من الذُّنُوبِ كيومِ ولدتْهُ أمُّهُ»(١).

• عن أبي مسعودٍ البدريِّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ المُسْلم إذا أنْفق على أهله نفقةً، وهو يحتسبها(٢)، كانت له صدقةً(٣)»(٤).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنِ اتَّبَع جنازةَ مسلمٍ إيمَـانًا واحتسابًا، وكان معه حتَّى يصلَّى عليها ويُفرغَ منْ دفْنِها فإنَّه يَرْجعُ من الأجر بقيراطين، كُلُّ قيراطٍ مثلُ أحدٍ، ومنْ صلَّى عليها ثُمَّ رجع قبل أن تُدْفنَ فإنَّهُ يرْجعُ بقيراطٍ»(٥).

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٦٦٠).

(٢) يحتسبها: أي يقصد بها طلب الثواب.

(٣) صدقة: أي يثابُ عليها كما يُثابُ على الصدقة.

(٤) رواه مسلم (١٠٠٢).

(٥) رواه البخاري واللفظ له (١/ ٤٧)، ومسلم (٩٤٥).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ صام رمضانَ إيمـانًا واحْتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ منْ ذنْبِه، ومنْ قامَ ليلةَ الْقَدْرِ إيمـانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدّم من ذنبه**»(١).

أخي: إن الاحتساب في التروك - ترك المعاصي والمحرمات - طاعة تثبت قلبك وتقوي عزيمتك لأن ترك المعصية - مع قدرتك عليها - لوجه الله يجعلك تتلذّذ وتسعد بتركها لأنك ترجو أجر امتثالك لأمر الله ووقوفك عند حدوده تبتغي بذلك ثواب التقوى والخوف من الله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن]، و«الذي خاف ربه وقيامه عليه فترك ما نهى عنه، وفعل ما أمر به، له جنتان من ذهب، آنيتهمَا وحليتهمَا وبنيانهمَا وما فيهمَا، إحدى الجنتين جزاءً على ترك المَنهيات، والأخرى على فعل الطاعات»(٢).

□ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أيها الناس احتسبوا أعمَالكم، فإن من احتسب عمله، كُتِب له أجر عمله، وأجر حسبته»(٣).

---

(١) رواه البخاري (١/ ٣٨)، ومسلم (٧٦٠)، واللفظ له.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» للسعدي (٥).

(٣) «لسان العرب» (١/ ٣١٥).

أمثلة على علو الهمة في الاحتساب[١] وجمع النيّات فيه

في الدعوة إلى الله:

• احتساب أجر الدلالة على الخير: فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله**»[٢].

• احتساب أجر الدعوة إلى الهدى: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»[٣].

□ ثواب تعليم الناس الخير، وصلاة الله وملائكته عليه.

□ ثواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ينطق به الداعي.

• ثواب الكلمة الطيبة كمَا يقول رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات**»[٤].

• احتساب أجر هداية الناس: كمَا جاء في حديث سهل بن سعد: «..**فوالله لأن يهدي بك الله رَجُلًا واحِدًا خير لك من حُمْر النَّعَم**»[٥].

احتساب ثواب جميع حركات الجوارح التي تستخدم في الدعوة.

□ احتساب أجر النَّفْعِ المتعدي.

---

(١) «كيف تحتسبين الأجر في حياتك اليومية» لهناء بنت عبد العزيز الصنيع -طبع دار الأرقم- مصر.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) جزء من حديث رواه البخاري -كتاب المغازي- باب غزوة خيبر (٣/ ١٣٤).

□ احتساب زكاة العلم الشرعي، والحفظ له من النسيان.

□ بركة دعاء النبي ﷺ لمن علم مقالته فوعاها وحفظها وبلّغها.

• ثواب امتثال أمر الرسول ﷺ حين قال: «**بلِّغوا عني ولو آية..**»(١).

* احتساب طاعة أمر الله ﷻ حيث قال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ .. ﴾ [النحل: ١٢٥]. احتساب أجر التعاون على البر والتقوى. احتساب ثواب لسدّ ثغرة للمسلمين.

• احتساب حمل الدعوة إلى الله ﷻ، واحتساب الصبر على ما يناله العبد من أذى، لقوله ﷺ: «**ما يُصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همٍّ ولا حَزَن ولا أذى ولا غَمٍّ حتى الشوكة يُشاكُها - إلّا كفر الله بها من خطاياه**»(٢).

* احتساب نصرة الإسلام وأهله. ابتغاء أن يهديك الله إلى صراطه المستقيم ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

□ احتساب ثواب قضاء حاجة المسلمين وتفريج كربهم وذلك برفع الجهل عنهم.

□ احتساب ثواب مواجهة الفساد والتصدي له. احتساب إبراء الذِّمَّة أمام الله.

ماذا تحتسِبُ عند استعمالك للهاتف:

والناس فيه بين غالٍ ومُفرِّط، فليتق الله العبد في وقته، فإن من عُبَّاد

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٤٦١).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢).

السلف وعلمَائه من كان يَسُفُّ خبزه سَفًّا ويقول: «بين السَّفِّ والمضع خمسون آية - أو خمسون تسبيحة».

فماذا ينوي الحاذق عند استعماله لهاتف جمعًا للنيّات واقتناصًا للحسنات.

١- ثواب صلة الرحم عند محادثة ذوي الرحم.

٢- ثواب إدخال السرور على مَن تحادثه عند اتصالك للسلام عليه والسؤال عن أحواله.

٣- ثواب الكلمة الطيبة في مكالمَات التهنئة أو التعزية أو الوعظ «**الكلمة الطيبة صدقة**»[(١)].

٤- احتساب نية العبادة والتقرّب إلى الله.

٥- احتساب الحفاظ على الوقت باستعمَال الهاتف لعمل أكثر من عبادة في وقت قصير.

٦- أجر قضاء حوائج المسلمين.. عندما يتصّل بك من يطلب بعض المساعدات أو حل المشاكل.

٧- احتساب أجر طلب العلم الشرعي.

٨- احتساب ثواب طلب النصيحة من أهلها، وبذلها لمن يحتاج إليها من خلال الهاتف.

٩- تحتسب النساء زيادة إلى ما مرّ أجر القرار في البيوت ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فعند استخدامها لهاتف تُقلِّل من

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٩٨٩).

حاجتها إلى الخروج.

١٠- ثواب الدعوة إلى الهدى والدلالة على الخير.

١١- احتساب أجر الإصالحة بين الناس.

أخي: بادر إلى النيّة الصالح.. فمن لك أن تسلم نيَّتك؟

◻ عن إسماعيل بن أبي حكيم - وكان كاتب عمر بن عبد العزيز بالمدينة - ولم يزل معه بالشام - قال: دخل عبد الملك على أبيه عمر فقال: أين وقع لك رأيك فيمَا ذكر لك مزاحم من ردّ المظالم؟ قال: عَلَى إنفاذه، فرفع عمر يديه، ثم قال: الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني، نعم يا بني، أصلي الظهر إن شاء الله، ثم أصعد المنبر فأردها على رؤوس الناس، فقال عبد الملك: يا أمير المؤمنين، مَن لك بالظهر، ومَنْ لك يا أمير المؤمنين إن بقيت أن تسلم لك نيتك للظهر؟ قال عمر: فقد تفرّق الناس للقائلة، فقال عبد الملك: تأمر مناديك فينادي الصلاة حتى يجتمع الناس، فأمر مناديه فنادى، فاجتمع الناس وقد جيء بسفط أو جونة فيها تلك الكتب وفي يدِ عمر جلم يقصه حتى نودي بالظهر»(١).

✍ فانظر إلى كلام الأكابر وكيف أخلصوا ومحّصوا نيّاتهم.

استسقوا بإصلاح نيّاتكم.. بقلوب سماوية لا بقلوب أرضية:

◻ قال أبو محمد الصلحي الكاتب: «نادى منادي المتقي في زمن خلافته في الأسواق: إن أمير المؤمنين يقول لكم معشر رعيته: أن امرأة

---

(١) «تهذيب الحلية» (٢/ ٢٤٤).

صالحة رأت النبي ﷺ في منامها، فشكت احتباس القطر[١]، فقال لها: قولي للناس يخرجون في يوم الثلاثاء الأدنى، ويستسقون ويدعون الله، فإنه يسقيهم في يومهم، وإن أمير المؤمنين يأمركم معاشر المسلمين بالخروج في يوم الثلاثاء، كمَا أمركم رسول الله ﷺ، وأن تدعوا وتستسقوا بإصلاح من نيّاتكم، وإقلاع من ذنوبكم.

قال: فأخبرني الجم الغفير أنهم لمَّا سمعوا النداء ضجّت الأسواق بالبكاء والدعاء. فشقّ ذلك علي، وقلت: منام امرأة لا يُدرى كيف تأويله، وهل يصح أم لا، يُنادي به خليفة في أسواق مدينة السلام؟ فإنْ لم يسقوْا كيف يكون حالنا مع الكفار؟ فليته أمر الناس بالخروج ولم يذكر هذا. ومازلت قلقًا حتى أتى يوم الثلاثاء، فقيل لي: إن الناس قد خرجوا إلى المصلى مع أبي الحسن أحمد بن الفضل بن عبد الملك، إمام الجامع، وخرج أكثر أصحاب السلطان، والفقهاء والأشراف.

فلمَّا كان قبل الظهر، ارتفعت سحابة، ثم طبّقت الآفاق، ثم أسبلت عزاليها[٢] بمطر جود[٣]. فرجع الناس حفاة من الوحل»[٤].

□ وجاء في ترجمة «سعدون المجنون»: «قال عطاء السليمي: احتبس علينا القطر بالبصرة فخرجنا نستسقي، وإذا بسعدون المجنون، فلمَّا أبصرني قال: يا عطاء إلى أين؟ قلت: خرجنا نستسقي. قال: بقلوب

(١) القطر: المطر.
(٢) عزاليها: إشارة إلى شِدَّة وقع المطر.
(٣) المطر الجود: المطر العزيز.
(٤) «الكامل» لابن الأثير (٨/ ٣٧٧)، و«المنتظم» لابن الجوزي (٦/ ٣١٩)، و«فوات الوفيّات» لابن شاكر الكتبي (٢/ ٤٨- ٤٩).

سماوية أم بقلوب أرضية؟ قلت: بقلوب سماوية. قال: لا تبهرج فإن الناقد بصير. قلت: ما هو إلَّا ما حكيت لك، فاستسق لنا. فرفع رأسه إلى السماء، وقال: أقسمتُ عليك إلَّا سقيتنا الغيث، ثم أنشأ يقول:

أَيَا مَن كلَّما نودي أجابا ... ومن بجلاله ينشي السحابا
ويا مَن كلَّم الصدّيق موسى ... كلامًا ثم ألهمه الصوابا
ويا مَن رَدَّ يوسف بعد ضر ... على من كان ينتحب انتحابا
ويا من خصّ أحمد واصطفاه ... وأعطاه الرسالة والكتابا

اسقنا، فأرسلت السمَاء شآبيب كأفواه القرب»[١].

نور الدين زنكي لا يفعل شيئًا إلا بنيَّة صالحة:

▫ قال ابن الأثير: «كان رحمه الله لا يفعل فعلًا إلَّا بنيّة حسنة، كان بالجزيرة رجل صالح، كثير العبادة والورع، شديد الانقطاع عن الناس، وكان نور الدين يكاتبه ويراسله، ويرجع إلى قوله، فبلغه أن نور الدين يُدمِن اللعب بالكرة، فكتب إليه يقول له: «ما كنت أظنك تلهو وتلعب وتعذِّب الخيل لغير فائدة دينية»، فكتب إليه نور الدين رحمه الله بخط يده – يقول: «والله ما يحملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر، إنمَا نحن في ثغر والعدو قريب منا، وبينمَا نحن جلوس، إذ يقع صوت فنركب في الطلب، ولا يمكننا أيضًا ملازمة الجهاد ليلًا ونهارًا، شتاءً وصيفًا، إذ لا بد من الراحة للجند، ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت جمامًا[٢] لا قُدرة

(١) «فوات الوفيّات» لابن شاكر الكتبي (٢/ ٤٨- ٤٩).
(٢) الجَمام: الراحة. وجمَّ الفرس: إذا تُرِكَ ولم يُركَب.

لها على إدمان السير في الطلب، ولا معرفة لها أيضًا بسرعة الانعطاف والكرّ والفرّ في المعركة، فنحن نركبها ونروّضها بهذا اللعب، فيذهب جَمَامُها، وتتعوّد سرعة الانعطاف والطاعة لراكبها في الحرب، فهذا والله الذي يبعثني على اللعب بالكرة».

□ قال ابن الأثير: «فانظر إلى هذا الملك المعدوم النظير، الذي يَقِلُّ في أصحاب الزوايا المنقطعين إلى العبادة مثله، فإن من يجيء إلى اللعب يفعله بنية صالحة، حتى يصير من أعظم العبادات وأكثر القربات - يقلُّ في العالم مثله، وفيه دليل على أنه كان لا يفعل شيئًا إلَّا بنيّة صالحة، وهذه أفعال العلماء الصالحين العاملين».

إيهٍ صلاح الدين.. طوية ما أطهرها، ونفس ما أشجعها وأجسرها!!

□ قال القاضي ابن شداد عن صلاح الدين: «في سنة أربع وثمانين - لمَّا ودّع أخاه وعسكر مصر بعسقلان -، سرنا على الساحل طالبين عكا، وكان الزمان شتاء عظيمًا، والبحر هائجًا هيجانًا عظيمًا، وموجه كالجبال كما قال الله، وكنت حديث عهد برؤية البحر، فعظم أمر البحر عندي، حتى خُيِّل لي أنني لو قال لي قادر: لو جُزْتَ في البحر ميلًا واحدًا ملَّكتك الدنيا لمَا كنتُ أفعل، واستخففتُ رأي من يركب البحر رجاء كسب دينار أو درهم، هذا كله خطر لي لعظم الهول الذي شاهدته من حركة البحر وتموّجه، فبينا أنا في ذلك، إذ التفت إليّ، وقال: في نفسي أنه متى يسّر الله تعالى فتح بقية الساحل قسّمت البلاد، وأوصيتُ وودّعت، وركبت هذا البحر إلى جزائره أتبعهم فيها، حتى لا أُبقي على وجه الأرض مَن يكفر بـالله، أو أموت. قال: فعظم وقع هذا الكلام عندي، حيث

ناقض ما كان يخطر لي، وقلت له: ليس في الأرض أشجع نفسًا من المولى، ولا أقوى نيّة في نصرة دين الله، وحكيت له ما خطر لي، ثم قلتُ له: ما هذه إلَّا نيّة جميلة، ولكن المولى يسيِّر في البحر العساكر وهو سور الإسلام، ولا ينبغي أن يخاطر بنفسه. فقال: أنا أستفتيك، ما أشرف الميْتات؟ فقلت: الموت في سبيل الله. فقال: «غاية ما في الباب أن أموت أشرف الميتات».

قال: فانظر إلى هذه الطويّة، ما أطهرها! وإلى هذه النفس ما أشجعها وأجسرها! اللهم إنك تعلم أنه بذل جهده في نصرة دينك رجاء رحمتك، فارحمه»[1].

كلام طيب لأديب الإسلام – مصطفى صادق الرافعي -:

□ يقول الرافعي في كتابه «وحي القلم» تحت عنوان «نية المؤمن خير من عمله»: «إن نية المؤمن لا تنطوي إلَّا على الخير الكامل، فهو – ما دامت نيّته على صلاحها وسره على إخلاصه- لا يعد اليسير من الشر يسيرًا، ولا يرى الكثير من الخير كثيرًا؛ فالأصل القائم في تلك النية المؤمنة ألا يبدأ الشر كي لا يوجد، وألا ينتهي الخير كي لا يفنى، فالمؤمن من ذلك على الخير والكمَال أبدًا، في حين أن عمله بطبيعته الإنسانية يتناول الخير والشر جميعًا، ثم لا يكون إلَّا عملًا إنسانيًّا على نقص واضطراب والتواء.

- وقد لا يستطيع المؤمن أن يأتي الخير في بعض أحواله، ولكنه يستطيع دائمًا أن ينويه ويرغب فيه ويعزم عليه، ليحقق ضميره في

(١) «عيون الروضتين» لأبي شامة (٢/ ٣٠٩- ٣١١).

كل ما يَهُمّ به، ويحصر أفكاره في قانون نيّته المؤمنة. وهذا هو الأساس في علم الأخلاق لا أساس من دونه.

- والنية من بعد هي حارس العمل؛ فكل إنسان يستطيع أن يذْعِن وأن يأبى، ومِن ثم تكون هذه النيّة رِدْئًا ومدافعة من ناحية، واستجابة ومطاوعة من الناحية الأخرى، فهي على الحقيقة متى صلحت كانت استقلالًا تامًّا للإرادة، وكانت مع ذلك ضبطًا لهذه الإرادة على حال واحدة هي التي ينتظم بها قانون المبدإ السامي.
- ثم إنه لا ضابط لصحة العمل واستقامته إلَّا النية الصحيحة المستقيمة؛ فالتزوير والتلبيس كلاهما سهل ميسور في الأعمَال، ولكنهمَا مستحيلان في النية إذا خلصت.
- وهي كذلك ضابط للفضائل توجّه القلوب على اختلافها وتفاوتها اتجاهًا واحدًا لا يختلف، فيكون طريق ما بين الإنسان والإنسان، من ناحية الطريق ما بين الإنسان وبين الله.
- وأشواق الروح بطبيعتها لا تنتهي، فيعرضها الجسم بجعل حاجاته غير منتهية؛ يحاول أن يطمس بهذه على تلك، وأن يغلّب الحيوانية على الروحانية، فإذا كانت النية مستيقظة كفَّتْه وأماتت أكثر نزعاته، ووضعت لكل حاجة حدًّا ونهاية، وبذلك ترجع النية إلى أن تكون قوة في النفس يخرج بها الإنسان عن كثير مما يحدّه من جسمه، ليخرج بذلك عن كثير مما يحده من معاني الأرض.

- وهي بعد هذا كله تحمل الإنسان أن ينظر إلى واجبه كأنه رقيب حي في قلبه، لا يُرائيه ولا يجامله، ولا يُخدَع من تأويل، ولا يُعَزّ بفلسفة ولا تزيين، ولا يُسكته ما تُسوِّل النفس، ولا يزال دائمًا يقول للإنسان في قلبه: إن أكبر الخطأ أن تُنظِّم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك.
- وجملة القول في معاني النية أنها قوة تجعل باطن الجسم متساوقًا مع ظاهره، فتتعاون الغرائز المختلفة في النفس تعاونًا سهلًا طبيعيًّا مطَّردًا، كمَا تتعاون أعضاء الجسم على اختلافها في اطرادٍ وسهولة وطبيعة»[1].

النية:

◘ قال الرافعي: «أول النفس النية العاملة لآخرتها، وآخر النفس ما تؤدي إليه أعمال هذه النية؛ فليس في إنسان الدنيا إلَّا إنسان العالم الآخر؛ وبهذا يقدَّر صمته وكلامه، وحركته وسكونه، وما يأتي وما يَدَع، وما يحب وما يكره، إذ كل شيء منه على ذلك الاعتبار إنما هو صورة الحقيقة العاملة فيه»[2].

◘ قال المناوي في «نية المرء خير من عمله»: «لأن تخليد الله العبد في الجنة ليس بعمله وإنمَا هو لنيّته؛ لأنه لو كان بعمله كان خلوده فيها بقدر مدة عمله أو أضعافه لكنه جازاه بنيَّته؛ لأنه لو كان ناويًا أن يطيع الله

---

(١) «وحي القلم» للرافعي.

(٢) «وحي القلم» للرافعي.

أبدًا فلمَّا اخترمته منيته جوزي بنيته، وكذا الكافر؛ لأنه لو جُوزي بعمله لم يستحق التخليد في النار إلَّا بقدر مدة كفره؛ لأنه نوى الإقامة على كفره أبدًا لو بقي فجوزي بنيَّته، ذكره بعضهم».

النيّة في كل شيءٍ:

□ قال الثوري لعلي بن الحسن: «اعمل بنيّة، وكُلْ بنيّة واشرب بنيّة».

□ وعن ابن المبارك سألت الثوري عن الرجل يصلي أي شيء ينوي بصلاته قال: «ينوي أن يناجي ربه».

□ وعن مكي بن إبراهيم قال: «دخلت على سفيان بن سعيد يومًا وبين يديه رغيف وكفّ زبيب -أو حفنة- فقال لي: ادن يا مكيّ، قلت: يا أبا عبد الله دخلت إليك غير مرة وأنت تأكل فلم تَدْعُني قبلها، قال: اليوم حضرتني النيّة»(١).

□ وعن عمر بن ذر قال: «ربمَا قيل لإبراهيم التيمي: تكلم! فيقول: ما تحضرني نيّة»(٢).

□ وقالت أخت داود الطائي له: «لو انتقلت من الشمس إلى الظل! فقال لها: هذي خطى لا أدري كيف تُحسب».

أقوال في النيّة:

□ قال سفيان الثوري: «عليك بتقوى الله ولسان صادق ونيّة خالصة، وأعمَال شتى صالحة، ليس فيها غش ولا خدعة، فإن الله يراك وإن لم

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٤٠٢، ٣٠٤).

(٢) «تهذيب الحلية» (٢/ ٣٨٦- ٣٨٧).

تكن تراه، وهو معك أينمَا كنت، لا يسقط عليه شيء من أمرك، ولا تخدع الله فيخدعك، فإنه من يخادع الله يخدعه، ويخلع عنه الإيمان ونفسه لا تشعر.. وأحسن سريرتك يُحسِنِ الله علانيتك، وأصلح فيمَا بينك وبين الله يصلح الله فيما بينك وبين الناس»(١).

ومن الناس من تكون نيته وهمته أجلّ من الدنيا وما عليها، وآخر نيته وهمته مِن أخس نيّة وهمّة، فالنيّة تبلغ بصاحبها في الخير والشر ما لا يبلغه عمله، فأين نيّة من طلب العلم وعلّمه ليصلي الله عليه وملائكته وتستغفر له دواب البر وحيتان البحر إلى نيّة من طلبه لمأكل أو وظيفة كتدريس، وسبحان الله كم بين من يُريد بعلمه وجه الله والنظر إليه وسمَاع كلامه وتسليمه عليه في جنة عدن وبين من يطلب حظًّا خسيسًا كتدريس أو غيره من العرض الفاني»(٢).

ليهنك أبا سليمان النيَّة والحظوة:

□ أمر الصديق خالد بن الوليد بالتوجُّهِ لقتال الروم في الشام، وأثنى على خالد ثناءً عَطِرًا، فقال: «إنه لم يُشج الجموع من الناس - بعون الله- شجاك، ولم ينزع الشجيُّ من الناس نَزْعك، فليهنك أبا سليمَان النيّة والحظوة، فأتمِم يُتمم الله لك، ولا يدخلنَّك عُجْبٌ فتخسر وتخذل، وإياك أن تُدِلَّ بعمل، فإن الله له المَنُّ، وهو ولِيُّ الجزاء»(٣).

□ وفي يوم اليرموك وقف معاذ بن جبل رضي الله عنه وقال للناس مثنيًا على

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «فيض القدير» (٦/ ٢٩٢).

(٣) «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٨٤).

خالد ﷺ: «أما والله – إن أطعتموه، لتطيعُنَّ مبارك الأمر، ميمون النقيبة، عظيم الغَناء، حسن الحسبة والنيّة».

وقال أيضًا عن خالد: «أما إني لأرجو أن الله قد أعطاه بصيرة على جهاد المشركين وشدّته عليهم وجهاده إياهم مع حسن بصيرته وحسن نيته وإعزاز دينه أحسن الثواب، وأن يكون من أفضلنا بذلك عملًا»[1].

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ٧٩).